الصباح الإسلامية
09
العدد 1642 - السنة السادسة
الاربعاء 13 شوال 1434 - الموافق 21 اغسطس 2013
Wednesday 21 August 2013 - No.1642 - 6th Year

الإعجاز العلمي لكتاب الله

700 آية من القرآن الكريم احتوت على عجائب الدنيا كلها

الهمام الجوهري: مباحث البلاغة ليست نهاية إعجاز القرآن بل هي علوم لفظه والإعجاز الكوني هو علوم معناه

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير الى الكون وما به من كائنات «أحياء وجمادات»، والى صور من نشأتها ومراحل تكونها، والى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الالهية التي تحكمها، وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبرة وتفهم للحكمة، وما يستوجبه من ايمان بالله، وشهادة بكمال صفاته وافعاله، وهو – سبحانه وتعالى – الخالق البارئ المصور الذي أبدع الخلق بعلم وقدرة وحكمة لا تحدها حدود، ولا يفيا حقها وصف.

وقد أحصى الدارسون لهذه الاشارات الكونية في كتاب الله ما يقدر بحوالي الف آية صريحة، بالاضافة الى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة، وبدوام اتساع دائرة المعرفة الانسانية، وتكرار تأمل المتأملين في كتاب الله، وتدبر المتدبرين لآياته – جيلا بعد جيل، وعصرا بعد عصر – لا ينفك العلماء والمتخصصون يكتشفون من حقائق الكون الثابتة في كتاب الله ما يؤكد على تحقق الوعد الالهي الذي يقول فيه ربنا – تبارك وتعالى –: « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » (فصلت:53).

وبديهي أن يتباين موقف العلماء من تلك الاشارات الكونية في كتاب الله بتباين الأفراد وخلفياتهم الثقافية وأزمانهم، وباتساع دائرة المعرفة الانسانية في مجال الدراسات الكونية التي تعرف اليوم باسم دراسات العلوم البحتة والتطبيقية من عصر الى عصر. وأول من بسط القول في ذلك كان الامام الغزالي (ت505هـ) في كتابيه «احياء علوم الدين» و«جواهر القرآن» والذي رفع فيهما شعارات عديدة منها أن القرآن الكريم يشمل العلوم جميعا، وأن من صور اعجاز القرآن الكريم اشتماله على كل شيء، وأن كل العلوم تشعبت من القرآن الكريم، حتى علم الهيئة، والنجوم، والطب الى آخر ما ذكر.

وتبع الامام الغزالي في ذلك كثيرون من العلماء المعاصرين الذين أضافوا اضافات أصيلة الى هذا الموضوع مما أدى الى «بروز المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم»، والذي يعتمد في تفسير الاشارات الكونية الواردة في كتاب الله على ضوء من معطيات العلوم البحتة والتطبيقية، مع تفاوت في ذلك من عصر الى عصر.

ويعتبر تفسير الرازي المعنون «مفاتيح الغيب» أول تفسير يفيض في بيان المسائل العلمية والفلسفية، خاصة ما يتعلق منها بعلم الهيئة، وغير ذلك من العلوم والفنون التي كانت معروفة في زمانه، والتي كان هو على دراية بها.

أما تفسير الشيخ طنطاوي جوهري والمعنون «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» فيقع في خمسة وعشرين جزءا كبارا، حاول فيها الشيخ – يرحمه الله – تفسير القرآن الكريم تفسيرا يتجاوب مع روح العصر وما وصلت اليه المعارف الانسانية في مجال دراسات الكون وما فيه من أجرام سماوية، ومن عوالم الجمادات والأحياء ومن الظواهر الكونية التي تصاحبها والسنن الالهية التي تحكمها؛ ليبرهن للقارئ أن كتاب الله الخالد قد أحاط بالكون في تفصيل وبيان وايضاح غفل عنه كثير من السابقين، وأنه بحق ينطوي على كل ما وصل وما سيصل اليه البشر من معارف.

هذا وقد نعى الشيخ الجوهري – يرحمه الله – على علماء المسلمين اهمالهم للجانب العلمي في القرآن الكريم، وتركيز جهودهم على الجوانب البيانية والفقهية فقط بقوله: «لماذا ألف علماء الاسلام عشرات الألوف من الكتب في علم الفقه، وعلم الفقه ليس له في القرآن الكريم الا آيات قلائل لا تصل الى مئة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تكاد تخلو منها سورة ؟» ؛ ولذا فاننا نجده في مطلع تفسيره يتوجه بنداء الى المسلمين يقول فيه: «يا أمة الاسلام، آيات معدودات في الفرائض – يقصد آيات الميراث – اجتذبت فرعا من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها.. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور الاسلام.. هذا زمان رقيه، يا ليت شعري، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في علوم الميراث ؟»، ثم يضيف: «ان نظام التعليم الاسلامي لابد من ارتقائه، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن الكريم، بل هي علوم لفظه، وما نكتبه اليوم (يقصد في تفسيره) علوم معناه..».

ولم يكتف الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره بتتبع الآيات واستنتاج معانيها وفق ما ارتآه فيها من اشارات الى مختلف الدراسات الحديثة؛ بل انه قد استعان في هذا التفسير – الفريد من نوعه – بكثير من صور النباتات والحيوانات والظواهر الكونية، والوسائل التجريبية، كما استخدم الآراء الفلسفية عند مختلف المدارس الفكرية وكذلك الأرقام العددية التي ينظمها «حساب الجمل» المعروف.

وقد اعتبر المفسرون من بني عصره ذلك المنهج العلمي في التفسير – كما اعتبر من قبل – جنوحا الى الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها التشريعية والايمانية؛ استنادا الى الحقيقة المسلمة: أن القرآن الكريم لم يأت لكي يبشر بين الناس القوانين العلمية ومعادلاتها، ولا جداول المواد وخصائصها، ولا قوائم بأسماء الكائنات وصفاتها؛ وانما هو في الأصل كتاب هداية، كتاب:عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وهي ركائز الدين التي لا يستطيع الانسان أن يضع لنفسه فيها أية ضوابط صحيحة.

والقرآن العظيم حين يلفت نظر الانسان الى مختلف مظاهر هذا الوجود انما يعرض لذلك من قبيل الاستدلال على قدرة الخالق العظيم وعلمه وحكمته وتدبيره، ومن قبيل اقامة الحجة البينة على الجاحدين من الكافرين والمشركين ومن قبيل التأكيد على احاطة القدرة الالهية بالكون وبكل ما فيه، وعلى حاجة الخلق في كل لحظة من لحظات الوجود الى رحمة ذلك الخالق العظيم ورعايته.

الصدق طريق صحبة الأنبياء في الجنة

لا شك في ان للصدق فضلاً كبيراً عند الله وان درجة الصادق مع النبيين في الجنة فقد قال تعالى «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا». والله مدح الصادقين وسماهم رجالا، قال الله تعالى: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الصدق: «إن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا».

ويكفي في فضيلة الصدق أن الصِّدِّيق مشتق منه، والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء فقال: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا». وقال تعالى: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا».

وقال ابن عباس: أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر.

وقال بشر بن الحارث: من عامل الله بالصدق استوحش من الناس.

وقال أبو سليمان: اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك والله تعالى غاية طلبك.

وقال رجل لحكيم: ما رأيت صادقا! فقال له: لو كنت صادقا لعرفت الصادقين.

وصفه علي بن أبي طالب بأشجع الرجال في الإسلام

الصديق رجل الدعوة الأول وصاحب اليد البيضاء على الإسلام والمسلمين

تحرك أبي بكر في الدعوة صورة للمؤمن الذي لا يهدأ له بال حتى يحقق ما آمن به

كان دائما يستهين بالخطر على نفسه ولا يرضى على النبي أقل الخطر ويذود عنه في كل وقت

أسلم ابو بكرالصديق وحمل الدعوة مع النبي ، وتعلم من رسول الله أن الإسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن الإيمان لا يكمل حتى يهب المسلم نفسه وما يملك لله رب العالمين، قال تعالى: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ × لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ»، وقد كان الصديق كثير الحركة للدعوة الجديدة، وكثير البركة، أينما تحرك أثر وحقق مكاسب عظيمة للإسلام، وقد كان نموذجًا حيًا في تطبيقه لقول الله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ».

كان تحرك الصديق في الدعوة إلى الله بوضوح صورة من صور الإيمان بهذا الدين، والاستجابة لله ورسوله، صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال حتى يحقق في دنيا الناس ما آمن به، دون أن تكون انطلاقته دفعة عاطفية مؤقتة سرعان ما تخمد وتذبل وتزول، وقد بقي نشاط أبي بكر وحماسته للإسلام إلى أن توفاه الله –عز وجل– لم يفتر أو يضعف أو يمل أو يعجز.

كانت أولى ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق في الإسلام، وهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنهم. وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدي رسول الله ، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العُدّة الأولى في تقوية جانب رسول الله وبهم أعزّ الله وأيده، وتتابع الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، رجالا ونساء، وكان كل من هؤلاء الطلائع داعية إلى الإسلام، وأقبل معهم، رعيل السابقين، الواحد والاثنان، والجماعة القليلة، فكانوا على قلة عددهم كتيبة الدعوة، وحصن الرسالة لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق في تاريخ الإسلام.

ويحكي الامام علي بن أبي طالب عن شجاعة أبي بكر وبذله في سبيل دعوة الله والذي جاء في الحديث ان سيدنا عليا قام خطيبًا وقال: يا أيها الناس، من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، وإنا جعلنا لرسول الله عريشا فقلنا: من يكون مع رسول الله لئلا يهوي عليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش، فهذا يحاده، وهذا يتلتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب ويجاهد هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

إن الصديق أول من آذي في سبيل الله بعد رسول الله وأول من دافع عن رسول الله، وأول من دعا إلى الله، وكان الذراع اليمنى لرسول الله ، وتفرغ للدعوة وملازمة رسول الله وإعانته على من يدخلون الدعوة في تربيتهم وتعليمهم وإكرامهم؛ فهذا أبو ذر يقص لنا حديثه عن إسلامه، وفيه: «... فقال أبو بكر: ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة، وأنه أطعمه من زبيب الطائف».

وهكذا كان الصديق في وقوفه مع رسول الله يستهين بالخطر على نفسه، ولا يستهين بخطر يصيب النبي قل أو كثر حيثما رآه واستطاع أن يذود عنه العادين عليه، وإنه ليراهم آخذين بتلابيبه فيدخل بينهم وبينه، وهو يصيح بهم: «ويلكم، أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟» فينصرفون عن النبي وينحون عليه يضربونه، يجذبونه من شعره فلا يدعونه إلا وهو صديع».

مولد الهادي حرر المرأة من المفاسد ورفع من قدرها

«النكاح الباطل» في الجاهلية أهان المرأة وحط من كرامتها حتى جاء الإسلام وألغاه

لا شك ان مولد النبي صلى الله عليه وسلم وبعثته السبب الاول في تحرير المرأة مما كانت عليه في الجاهلية والامم السابقة وسبق ان بينا كيف صنع الاسلام للمرأة شأنا هو حق لها كان مسلوبا قبل الاسلام، ومن حقوق المرأة التي اعادها اليها الاسلام، حق النكاح فقد كانت المرأة قبل الاسلام سلعة تباع وتشترى بانواع من النكاح الفاسد الذي يهينها ويسلبها حقوقها وحريتها، والعرب تعارفوا على أنواع من النكاح في الجاهلية اهانت المرأة وحطت من كرامتها، لا يعيب بعضهم على بعض إتيانها، وقد ذكرت لنا السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: «إن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت، ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل، والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لها القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم».

وذكر بعض العلماء أنحاء أخرى لم تذكرها عائشة رضي الله عنها كنكاح الخدن وهو في قوله تعالى: «وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» كانوا يقولون: ما استتر فلا بأس به، وما ظهر فهو لوم، وهو إلى الزنا أقرب منه إلى النكاح، وكنكاح المتعة وهو النكاح المعين بوقت، ونكاح البدل: كان الرجل في الجاهلية يقول للرجل: انزل لي على امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك.

ومن الأنكحة الباطلة نكاح الشغار وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته، ليس بينهما صداق.

وكانوا يحلون الجمع بين الأختين في النكاح، وكانوا يبيحون للرجل أن يجمع في عصمته من الزوجات ما شاء دون التقيد بعدد، وكان الذين جمعوا بين أكثر من أربع زوجات أكثر من أن ينالهم العد، وجاء الإسلام ومنهم من له العشرة من النساء والأكثر، والأقل، فقصر ذلك على أربع إن علم أنه يستطيع الإنفاق عليهن، والعدل بينهن، فإن خاف عدم العدل فليكتف بواحدة، وما كانوا في الجاهلية يلتزمون العدل بين الزوجات، وكانوا يسيئون عشرتهن، ويهضمون حقوقهن حتى جاء الإسلام فانصفهن، وأوصى بالإحسان إليهن في العشرة، وقرر لهن حقوقا ما كن يحلمن بها.